مُهِمَّاتٌ تربويَّة

رمضان ١٤٤٦ من الهجرة النبوية

تقديم

أنا هيد بنت عيد السمبري

غفر الله لها ولوالديها

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الأول يوم السبت 1 رمضان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا ممن انتفع بهذا الشهر العظيم، الكريم على رب العالمين، شهر مبارك مدَّ الله في أعمارنا من فضله لنصومه ونقومه ونتلو فيه كتابه العزيز، نتدبره ونتعلم منه كيف نربي أنفسنا، ونربي من تحت أيدينا. وفي الحديث خرَج علينا رسولُ اللهِ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- فقال: «أبشِروا وأبشِروا أليس تشهَدونَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ؟» قالوا: نَعم، قال: «فإنَّ هذا القرآنَ سببٌ، -يعني حبل- طرَفُه بيدِ اللهِ وطرَفُه بأيديكم فتمسَّكوا به فإنَّكم لنْ تضِلُّوا ولن تهلِكوا بعدَه أبدًا»[1]. يا لعظمة هذا الكتاب! حبل ممدود من السماء، من تمسك به نجا، فكل من أراد النجاة لنفسه ولمن هو مسؤول عنه، فليتمسك بحبل الله، وليجعل كتاب الله هو مصدره في تصور الأشياء، في تصور الحياة، في تصور الوظيفة التي يجب عليه أن يقوم بها.

[1]() أخرجه ابن أبي شيبة في (المصنف) (10/481)، وابن حبان (1/329) (122).

لذا نجتمع -بإذن الله- على هذا الكتاب العظيم، ونقف في كل نهار من نهارات هذا الشهر المبارك أمام أحد الآيات العظيمة من هذا الكتاب، وننظر من خلال هذه الآية إلى المهمة التربوية التي يجب علينا أن نقوم بها، إلى الشأن المحكم الذي علينا أن نعتني به، وهذه المهمات تنطلق من أمر مهم، وهو: أننا أُمرنا في الشريعة -بل وقد ظهر هذا حتى في أدعيتنا وسؤالنا- بأن نطلب العافية، وأن نرغب فيها. أن نسأل الله العافية ونرغب في العافية. فهذه المهمات التربوية ستكون طلبًا للعافية الدينية وأيضًا الدنيوية، بمعنى أن اهتمامنا واختيارنا للآيات التي سيتم نقاشها منطلق من أن على الجميع -وخاصة النساء اللاتي عليهن رعاية الأجيال- أن يعتني بالعافية الإيمانية. فالعافية الإيمانية هي سبب صلاح النفس وصلاح التربية. وقد جاء في الحديث أن العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه- جاء إلى النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، قال: "قلتُ يا رسولَ اللَّهِ علِّمني شيئًا أسألُهُ اللَّهَ"، قال: «سلِ اللَّهَ العافِيَةَ»، فمَكثتُ أيَّامًا ثمَّ جئتُ فقلتُ: "يا رسولَ اللَّهِ علِّمني شيئًا أسألُهُ اللَّهَ"، فقالَ لي: «يا

عبَّاسُ يا عمَّ رسولِ اللَّهِ سلِ اللَّهَ العافيةَ في الدُّنيا والآخرةِ»[2] لذا كان في الشرع أمر العافية أمر مهم. اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة. وقد قامَ أبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ على المنبرِ ثمَّ بَكى، فقالَ قامَ رسولُ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم- عامَ الأوَّلِ على المنبرِ ثمَّ بَكى فقالَ: «سلُوا اللَّهَ العفوَ والعافيةَ فإنَّ أحدًا لم يُعطَ بعدَ اليقينِ خيرًا منَ العافيةِ»[3].

وقد ذكر أهل العلم أنه "قد تواتر عنه -صلَّى الله عليه وسلَّم- دعاؤه بالعافية لفظًا ومعنى من نحو خمسين طريقًا." ولهذا قالت عائشة -رضي الله عنها-: "إنِّي لو عرفتُ أيُّ ليلةٍ ليلةُ القَدْرِ؛ ما سألتُ الله إلَّا العافيَةَ"، وفي رواية: "لكان أكثر دعائي فيها أن أسأل الله العفو والعافية." فلذا كان من المهم الاهتمام بالأمور التي تجلب العافية، تجلب عافية الإنسان في دينه، والتي يتبعها عافية الإنسان في دنياه؛ ولذلك لو سألت:

ما هي العافية؟

[2] () أخرجه الترمذي (3514).
[3] () أخرجه الترمذي (3558).

يقول الليث -رحمه الله-: "العافية هي: دفاع الله عن عبده" بمعنى أن العبد حينما يسأل ربه العافية، فإنه يسأله أن يدفع عنه كل ما يضره في دينه ودنياه، فكل ما دفعه الله عن العبد فهو عافية، فسائل الله العافية، يسأله أن يدفع عنه الفتن، ما ظهر منها وما بطن، يسأله الستر، يسأله الحفظ، يسأله السلامة، فهذه كلها مطالب للإنسان، لنفسه ولمن تحت يده. فإذا كان الإنسان يربي نفسه سيكون أعظم ما يريده من وراء هذه التربية: أن يزيل الله عنه الشر ويدفعه عنه؛ ولذلك سؤال الله العافية دعوة جامعة شاملة للوقاية من الشرور كلها في الدنيا والآخرة، والعافية أقسام ثلاثة: عفو ومعافاة وعافية.

فالشر **الماضي يزول بالعفو.**

والحاضر يزول بالعافية.

والمستقبل يزول بالمعافاة.

وكما نعلم أن العافية أعظمها عافية الأديان، وتعقبها عافية الأبدان، وإذا اجتمعتا فذلك التوفيق من الكريم المنان.

العافية في الدين: بالثبات على الحق والبعد عن الباطل وأهله، والسلامة من الكفر والضلال والنفاق والفسوق

والعصيان وكبائر الذنوب وصغائرها، والعافية من الشهوات والشبهات، والعافية من الفتن والبدع ما ظهر منها وما بطن.

والعافية في الآخرة: هي الوقاية من فتنة الممات، وفتنة السكرات، وفتنة القبر، والنجاة من أهوال يوم العرض والفزع الأكبر.

هذا الأمر المهم له أسبابه، وأسبابه -كما تبين لنا في أول الكلام- هي الحبل الممدود من عند رب العالمين؛ لذا اليوم وفي كل نهار من هذه النهارات المباركة، ستكون العناية بآية أو مجموعة آيات غاية في الأهمية لأجل أن يكون الإنسان في عافية من دينه، وفي الحديث: «ما سُئل الله شيئًا أحبّ إليه من أن يُسأل العافية»[4] اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وفي أهلنا وفي أموالنا. اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، ومن جميع سخطك!

[4]() أخرجه الترمذي (3515).

هذا الكلام الذي مضى منقول من خطبة الشيخ صالح بن حميد -حفظه الله- وقد كانت في الجمعة الماضية، ويمكن الرجوع لها وسماعها فإنها تحمل فوائد عظيمة، وينصح بنشرها لما في الخطبة من تنبيه على هذا الشأن العظيم، وفيها بيان لحديث أمّنا عائشة، الذي يدلنا على ماذا نسأل الله في ليلة القدر، نسأل الله أن يجعلنا من قوامها، ونسأل الله فيها العفو والعافية.

نبدأ اليوم، بأول المهمات التربوية من الجزء الأول من كتاب الله العزيز، نبدأ بهذه السورة العظيمة، سورة البقرة، التي يبقى الإنسان المؤمن أمام ما فيها من خيرات وبركات وما فيها من إرشادات، يبقى دائمًا متذكرًا لنعمة الله -عزَّ وجلَّ-، ويبقى دائمًا يشعر بالعجز عن الإحاطة بها علمًا.

نبدأ اليوم مباشرة، بما أننا قدمنا عن العافية، فيمكن أن نؤجل الكلام عن سورة البقرة إجمالًا وما فيها من الخيرات إلى لقائنا غدًا، ونبدأ بالكلام عن الآية التي هي من المهمات التربوية، والتي بوجودها نرجو أن تكون العافية في قلوبنا وقلوب من نربي، وهذه الجملة من الآية تصدرت السورة.

كما هو معلوم، رب العالمين ابتدأ هذه السورة العظيمة بالحروف المقطعة: (الم)، ثم أشار إلى هذه النعمة العظيمة، وهي الكتاب المبين (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ) ثم أخبر خبرًا عظيما، وهو الذي سيكون مهمتنا (لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ). ثم أخبر -عزَّ وجلَّ-، أنه (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ). **وستكون مهمتنا هي هذه الجملة العظيمة:**

(الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ)

ونبتدئ في بيان معنى (لَا رَيْبَ)، المنفي. ثم نتناقش في كون أن هذه الصفة للكتاب يجب أن تكون في نفوسنا من المهمات التي نهتم بها.

نبدأ في بيان معنى (لَا رَيْبَ)، وقد تكلم المفسرون في ذلك وأخبروا "أن الريب والشك يجتمعان في أصل المعنى، ويختلفان في كون أن الريب زائد في معناه عن الشك." معنى ذلك أن الريب في أصله الشك، فالمنفي عن كتاب الله هو: أن يكون فيه شك. ثم نزيد على ذلك فنقول: وإن هذا الشك المنفي عُبِّر عنه بالريب؛ لأن الريب إنما يكون بسبب سوء ظن، فالريب قريب من الشك وفيه زيادة، كأنه ظن سوء؛ لذلك يقال: "رابني أمر فلان" إذا ظن به سوءا. ومنه قول

النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يُرِيبُكَ»[5] **فالزيادة: أن يكون فيه سوء ظن.**

فهذا الشك وهذا الريب يرجع إلى شيء في القلب. الريب يعود إلى معنى الشك إلا أن فيه زيادة. معنى ذلك أن المنفي عن الكتاب: أن يكون فيه شك.

- المنفي عن الكتاب الشك في أن يكون من عند الله.
- الشك في أن يكون منهجًا صالحًا لكل زمان ومكان.
- الشك في أن أكون في حال في الدنيا والقرآن لا يدلني كيف أخرج منها.
- يكون الإنسان في شك، والعياذ بالله، إذا ظن -لذلك هو الريب- أن رب العالمين يكلفه بأن يستقيم ولا يعطيه منهج الاستقامة.

فهذا الريب وهذه الظنون من أعظم المهمات التربوية التي نكون مسؤولين فيها عن تربية أنفسنا وتربية من تحت أيدينا، أعظم المهمات: أن نبني اليقين في قلوب المتربين بأن هذا الكتاب العظيم هو المنهج القويم الموصل لسلامة الإنسان وعافيته في دنياه

[5] () أخرجه أحمد (12120).

وأخراه. فمن أراد العافية في دينه فليملأ فؤاده من اليقين بأن الله -عزَّ وجلَّ-، أنزل هذا الكتاب العظيم فيه من الخير والمصالح ما لا يستطيع أن يحصرها الإنسان، ولا يبلغ عدّها، وهذا واضح من تسمية الله -عزَّ وجلَّ-، ووصف الله -عزَّ وجلَّ- للقرآن، كما سيتبين لنا. في القرآن أتت أسماء وأوصاف للقرآن تزيدنا يقينًا أن هذا الكتاب العظيم هو الدال لنا على الطريق المستقيم، وبه تحصل لنا العافية في الدنيا والآخرة. ويمكن أن يقول أحد: "الله يقول (لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ)، لكن يمكن أن يكون عند بعض الناس ريب!" يعني إذا كنتم ترونه لا ريب فيه، فهؤلاء يقولون إنهم يرون أن فيه ريب.

لنعلم أن رب العالمين أنزل هذا الكتاب، وهذا الكتاب الذي نزل من عند رب العالمين هو بنفسه عزيز. فهذا الكتاب العزيز يخاطب رب العالمين الناس فيه، وهو العزيز الحميد -سبحانه وتعالى-، ترى في الكتاب آثار العزة. كيف يظهر هذا هنا؟ يظهر هنا في أن رب العالمين يقول: (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ)، (الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ)، هم وقع منهم ريب، وسيأتي في الآيات (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا)[6] ارتيابهم

[6]() البقرة: 23.

واقع، لكن رب العالمين وهو العزيز الحميد الذي أنزل كتابه بعزته، نزّل ارتيابهم منزلة العدم، كأنه لا قيمة لارتيابهم، قبلتم أو لم تقبلوا، الكتاب لا ريب فيه، فنزّل ارتيابهم منزلة العدم؛ لأنهم لو تأملوه لزال ارتيابهم. فنزّل الارتياب -من هؤلاء الذين في نفوسهم ريب، مع وجود دلائل الحق- منزلة العدم، كأنه لا قيمة لارتيابهم، بدليل أنه تحداهم: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِثْلِهِ). معنى هذا أن أهل العافية -نسأل الله جميعًا أن يجعلنا من أهل العافية- في قلبهم يقين، ما يخالجهم ريب ولا سوء ظن بربهم، وإذا حصل أن أشكل عليهم أمر أو عاشوا في شأن وما وجدوا من أنفسهم قوة أن يطلعوا في كتاب الله على الطريق السليم، فهم يعيدون الإشكال إلى أنفسهم. يرون أنفسهم هم في حالة الإشكال، هم المقصرين، هم الذين نقصت أعمالهم وأحوالهم واجتهادهم مع كتاب الله.

معنى ذلك أن المطلوب منا -وهو الشيء المهم- : أن نعمل ما استطعنا، وندعو ما استطعنا، ونسأل الله في كل وقت أن يزيد يقيننا بهذا الكتاب العظيم، وأن يفتح لنا فيه، وأن يرزقنا

بركاته وأن يطلعنا على أسراره وأن يفتح لنا أبواب العلم به.

كتاب يقول رب العالمين عنه: (لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ) ليس فيه ما يوجد اختلافًا في صحته، ليس فيه أي اضطراب ولا اختلاف، (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)[7] فكلام رب العالمين ليس فيه ما يريب، بل فيه ما يدل على أنه الحق من عند رب العالمين، ليس فيه كلام يناقض بعضه بعضًا أو كلام يجافي الحقيقة، أو حتى يجافي الفضيلة. كتاب الله لا يأمر بارتكاب الشر والفساد، أو يصرف عن الأخلاق الفاضلة، بل بالعكس، لو نظر الإنسان أقل نظر في هذا الكتاب وجده يفيده اليقين، وجده يدله على أنه من عند رب العالمين، فهذا الخبر أن (الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ) ليس فيه ادعاء، بل هو الحق؛ لذا حين يقال -وهذا من نقص عقول بعض الناس وتأثرهم بالدعوات، وتأثرهم بالأفكار-: "كيف أكون أنا المسلم أعتقد صحة ديني وهكذا يمكن أن يدعي النصراني واليهودي، فيقول أيضًا: "ديننا صحيح"، فمن أين لي أن أعرف أني على صواب وغيري على خطأ!"، وهذا لنقص هذه الجملة القرآنية.

---

[7] () النساء: 82.

(الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ) ومن شك فيه ما شك، إلا لأنه لم ينظر إلى الكتاب نظر المعتني، لأن جملة (الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ) حين تقرأ في التفسير، تجد في مضمونها التعريض ببقية الكتب التي في يد أهل الكتاب، التي حصل فيها اضطراب وتحريف، بمجرد أن يقرأ القارئ تلك الكتب، يعلم أنها لا يمكن أن تكون من عند الله. وهذا ليس موضوعنا، وإن كان أمرًا سهلًا ويسيرًا على من ابتلي أن يجاور أو يصاحب أو يعيش مع أناس يدافعون عن هذه الكتب المحرفة، بمجرد نظره في كتابهم، سيرى أن فيها من الأدلة ما يبين أنها ليست من عند الله. فهذا الكتاب مخصوص أنه لا ريب فيه، وأن غيره من الكتب فيه الريب. ورب العالمين قد أحسن إلى المؤمنين بأن بيّن لهم صفات هذا الكتاب، فعدد لهم أسماءه ووصفه بأوصاف. فنحن مهمتنا لنربي أنفسنا ونربي من هم تحتنا، ولكي نصل إلى العافية: أن نقف على هذه الأوصاف متأملين، وأول الأمر: أن نطلب العون من رب العالمين أن يذيقنا معاني هذه الأوصاف والأسماء للقرآن. وحين تكثر الأسماء والصفات لمسمّى وموصوف فهذا يدل على مكانته.

فأشهر أسماء القرآن (الكتاب) (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ)، وهذا اسم من أسماء القرآن، مثل هنا (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ) وفي ص (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ). ما معنى الكتاب؟ في القرآن جاء معنى لتسمية القرآن (كتاب)، من ذلك:

أن هذا الكتاب فَرْضٌ، فُرِضَ عليكم فلتعتنوا به، مثل قوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ)[8] ، مثل قوله تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا)[9] سماه الله -عزَّ وجلَّ- (كِتَابًا) يعني: مفروضًا، مثل (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ)[10] يعني فُرض عليكم. هذا الكتاب جاء في القرآن ما يدلنا على أن القرآن سُمِّي كتاب، يعني أن هذا الكتاب فَرْض.

ومن معاني الكتاب: الحجة والبرهان، (فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) كما في سورة الصافات، ائتوا ببرهانكم، (كتابكم) يعني برهانكم، هذا المعنى في كلمة الكتاب؛ كتاب الله يعني الحجة والبرهان. فلا بد أن يكون في القلب من الإحساس بالحجة والبرهان في هذا الكتاب: أن حجتك

[8] () البقرة: 183.
[9] () النساء: 103.
[10] () البقرة: 178.

وبرهانك على الحق الذي تحمله موجود في هذا الكتاب، فأنت دائم المراجعة له، ودائم الزيادة في اليقين بسببه؛ لأن فيه الحجة والبرهان، فأنت في حال الثبات، قلبك مليء باليقين، عندك حجج على ما تعمل، عندك برهان على ما اخترت في قراراتك.

وأيضًا من معاني الكتاب (وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ)[11] يعني لها أجل معلوم، وربما يكون المعنى: أن هذه الأمة إنما ينتهي أجلها برفع كتابها.

واشتقاق الكتاب من الكتب، من كتبت الشيء إذا جمعته، وسميت الكتيبة لاجتماعها، وقيل إنه سُمّي الكتاب لأنه كالكتيبة على عساكر الشبهات، ولأنه اجتمع فيه جميع العلوم، ولأن الله تعالى ألزم فيه التكاليف على الخلق. إذًا هذا اسم من أسمائه (الْكِتَابُ).

أيضا من أسمائه الفرقان، (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ)[12] ومثله (وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ)[13]، وهذا المعنى

---

[11] () الحجر: 4.
[12] () الفرقان: 1.
[13] () البقرة: 185.

واضح، ويدل على أن هذه المهمة التربوية خطيرة، أن يبقى القلب مليئًا باليقين بهذا الكتاب وأنه الفرقان يفرق بين الحق والباطل، وبين الحلال والحرام، الفرقان هو النجاة، فالله قد ابتلى الناس في الدنيا بالشبهات والظلمات والضلالات، فبالقرآن وجدوا النجاة، وبالقرآن يحصل الفرقان؛ لذلك من أسمائه الفرقان، ومن ملأ قلبه بهذا اليقين، بأن هذا الكتاب فرقان، سيسأل الله -عزَّ وجلَّ-، أن يجعل هذا الكتاب مفرقًا له بين الحق والباطل، وسيجتهد في تعلم الكتاب ويكون الكتاب بالنسبة له مفرقًا بين الحق والباطل.

من أسماء هذا الكتاب العظيم: الذكر والتذكرة والذكرى، ورد في كتاب الله في الإشارة إلى القرآن (وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ)[14].

وقد أخبر -عزَّ وجلَّ-، أيضًا أنه ذكر من جهة كونه رفعة (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ)[15].

يكون معناه فيه وجهين:

[14] () الأنبياء: 50.
[15] () الزخرف: 44.

الوجه الأول: كونه ذكر من الله -تعالى-، ذكّر به عباده فعرّفهم الحلال من الحرام، وعرّفهم الحق من الباطل.

والوجه الثاني: أنه ذكر شرف وفخر لمن آمن به، وأنه شرف للنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- وأمته.

فحين يكون اسمه ذكر والله يقول لرسوله: (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) فكيف لا يكون هو مصدر اعتزازنا، كيف لا نكون حريصين على أن نجعله في صدورنا، ومنتشر بيننا، نتعلّمه ونعلّمه ونجتهد في فهم آياته ومعانيها؛ ولذلك هو ذكر، وأيضًا هو تذكرة (وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ) كما في الحاقة. فهو ذكر وتذكرة وأيضًا هو ذكرى، فرب العالمين يقول: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)[16] إشارة إلى الكتاب، يأمر رسوله -صلَّى الله عليه وسلَّم-، أن يذكرهم بالقرآن، (فَإِنَّ الذِّكْرَى) يعني فإن القرآن ينفع أهل الإيمان.

إذًا هو ذكر يذكرنا رب العالمين، وفيه شرفنا، وتذكرة لنا، وهو ذكرى تنفع المؤمنين.

[16]() الذاريات: 55.

ومن أسماء هذا الكتاب أيضًا: التنزيل، ويا له من اسم عظيم، ووصف كريم، (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[17] ربنا الذي ربّانا بنعمه على أبداننا، أنعم علينا بهذا الكتاب وأنزله من علو، من مكان ما جاءت الأرواح فجعله غذاء لهذه الروح. (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) من العلو، الله في سمائه مستوٍ على عرشه، عالٍ على خلقه، تكلم بهذا الكلام العظيم، ونزل به الروح الأمين! يا لهذه المهمة العظيمة. فكيف التنزيل الذي جاء من السماء، حبل الله الممدود الذي به النجاة لا يكون في القلب في مكانه الصحيح؟! وهو حق ويقين علينا أن نمتلئ به، علينا أن نسعى في كل الطرق التي توصلنا إلى زيادة اليقين بهذا الكتاب العظيم، ومن أهم الطرق: سؤال الله في هذه الليالي أن يشرح صدورنا لهذا الكتاب وأن يعلمنا إياه. لذلك ما أعجب أن تسأل الله وأنت في هم وغم: «أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك سميتَ به نفسَك أو أنزلتَه في كتابِك أو علمته أحدًا من خلقِك أو استأثرت به في علمِ الغيبِ عندك»، ماذا؟ أن تزيل عني الهم والغم؟ لا، بل «أن تجعلَ القرآنَ العظيمَ ربيعَ قلبي

[17] () الشعراء: 192.

ونورَ صدري وجلاءَ حزني وذهابَ همّي وغمّي»[18] هذا معناه أن القرآن يشكل لك تصور للحياة، إذا كان القرآن ربيع قلبك ونور صدرك ستكون في عافية، ستعرف أن الحياة ابتلاء، من كلام رب العالمين، تسمع أنه يقسم، عزَّ وجلَّ (وَلَنَبْلُوَنَّكُم)[19] يصف لنا رب العالمين الدنيا، ويصف ما فيها من زينة ويقول: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا)[20]. تسمع القرآن وتقرأه فيكون القرآن ربيع قلبك فتتصور أن الدنيا دار ممر والآخرة دار مستقر. إذا كان القرآن ربيعًا لقلبك وأنبت فيه المعاني؛ ستجد أن القرآن قد اختلط بمشاعرك فتصورت الحياة من خلاله، فتهون الهموم وتذهب الغموم والأحزان، ويشعر الإنسان بحقارة الدنيا وعظمة الآخرة التي نحن مقبلون عليها؛ لذلك هو ذكر، هو فرقان، هو تنزيل نزل من عند رب العالمين.

والله سماه حديثًا، تحدث به إلى الخلق، حديث الله (اللَّهُ نَزلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا)[21] تحدث به رب العالمين.

---

[18]() أخرجه أحمد (3712).
[19]() محمد: 31.
[20]() الكهف: 7.
[21]() الزمر: 23.

وسماه موعظة، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ)[22]، كيف لا تتعظ بها؟!

وسماه الله الحكم والحكمة والحكيم والمحكم. الحكم كما قال -عزَّ وجلَّ-: (وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا)[23] يحكم لنا بين الأمور. يا لله! كيف نلقى الله وما عرفنا أن كتابه حكم لنا وفصل لنا الأمور، كيف ما أخذنا الحكمة من هذا الكتاب، (حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ)[24]. والله يقول لنساء النبي في سورة الأحزاب: (وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ).

والله سماه ووصفه بأنه حكيم (يسٓ (1) وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ) وهو محكم، كما أخبر عزَّ وجلَّ: (كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ). ففيه الحكمة والإحكام، تصور هذه الكلمة قد ذكر أهل العلم في معنى الحكمة والإحكام أنها مأخوذة من حِكمة اللجام. الأداة التي يحكمون بها اللجام؛ لأنها تضبط الدابة، والحكمة تمنع من السفه. فتصور هذا الكتاب يجب أن يكون في قلوبنا يقين لا ريب فيه أبدًا: أن فيه الحكمة التي تمنع

---

[22]() يونس: 57.
[23]() الرعد: 37.
[24]() القمر: 5.

السفه، وأن السفيه هو الذي يترك هذا، والحكيم والعاقل هو الذي يتبع هذا.

هذا القرآن فيه شفاء (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)[25] وقال الله -عزَّ وجلَّ-، فيه (وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ)[26] شفاء من أمراض الشك والإعراض والكفر والنفاق، فمن وجد في قلبه شيئًا من هذا فليزيله بالقرآن، فالقرآن يزيل كل شك من القلب، فوصفه الشفاء.

فلنجعل هذا من مهماتنا، أن هذا القرآن لا ريب فيه، لا شك فيه، كما وصفه رب العالمين بكل هذه الأوصاف، وقد وصفه -سبحانه وتعالى- في نفس الآية أنه (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)، كما وصفه -سبحانه وتعالى- (إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)[27] بل إن الجن قالت (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ).

ومن أوصاف هذا القرآن أنه الصراط المستقيم، قال ابن عباس في قوله تعالى: (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا

---

[25]() الإسراء: 82.
[26]() يونس: 57.
[27]() الإسراء: 9.

فَاتَّبِعُوهُ)[28] قال: "إنه القرآن" ومثله في قوله تعالى -وهو من أوصاف القرآن-: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا)[29] القرآن حبل، كما في الحديث أيضًا، سُمي حبلًا ووصف بهذا ولا ريب أن هذا الوصف حقيقة؛ لأن المعتصم به في أمور دينه يتخلص من عقوبة الآخرة وفساد الدنيا، كما أن المتمسك بالحبل ينجو من الغرق والمهالك. فالقرآن عصمة لمن اعتصم به، يعني تتمسك به وتتدارسه وتقرأه وتهتم به، وتعيده وتجعله في قلبك، سيكون لك عصمة، بل سيشكلك كإنسان.

ويأتينا في مطلع لقاء غد، أن نقول كيف أن القرآن كان خلق الرسول -صلَّى الله عليه وسلَّم-، ما معنى هذه الكلمة العظيمة.

وأيضًا وصف القرآن بأنه رحمة (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) أي رحمة فوق أن نتخلص من الضلالات والجهالات، وأن نعافى من الشك والريب ونكون في نور.

[28] () الأنعام: 153.
[29] () آل عمران: 103.

وصفه الله -عزَّ وجلَّ- بأنه روح (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا)[30] ومثله قوله تعالى: (يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ)[31] وهو روح لأنه سبب لحياة الأرواح. بل سمّى الله جبريل بالروح؛ لأنه نزل بهذا القرآن، ونزل بالوحي من عند الله على جميع الأنبياء

ومن أوصافه البيان والتبيان والمبين. يقول -عزَّ وجلَّ-: (هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ)[32]، (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ)[33]، لا بد أن نكون على يقين لا يخالطه ريب أن هذا الكتاب تبيانًا لكل شيء، سماه الله، ووصفه أنه المبين، (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ)[34].

من أوصافه أنه بصائر (قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ)[35] يعني أدلة يبصر بها القلب الحق كما يبصر بالعين، ماذا يبصر؟ يبصر طريق الخلاص! الأمر جد وليس بالهزل.

---

[30]() الشورى: 52.
[31]() النحل: 2.
[32]() آل عمران: 138.
[33]() النحل: 89.
[34]() يوسف: 1.
[35]() الأنعام: 104.

لذلك من أسماء القرآن الفصل كما في سورة الطارق: (إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (13) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ) يعني أنه يفصل في الدنيا بين الصادقين والكاذبين، بين المؤمنين والمنافقين، وفي الآخرة يفصل بين الناس؛ فيهدي قومًا إلى الجنة ويسوق آخرين إلى النار. فمن جعله إمامه في الدنيا قاده إلى الجنة، ومن جعله وراءه ساقه إلى النار، والعياذ بالله.

ومن أوصافه أنه مثاني، تثنى به القصص والأخبار ليزيد الإنسان يقينًا وإيمانًا. في قوله تعالى (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)[36] قال ابن عباس: "النعمة هي القرآن."

وقد سماه رب العالمين برهان (قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ)[37] وكيف لا يسمى برهانًا وقد عجز الفصحاء أن يأتوا بمثله.

وهو المهيمن، كما أخبر عزَّ وجلَّ: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ)[38].

---

[36] () الضحى: 11.
[37] () النساء: 174.
[38] () المائدة: 48.

يطول الكلام عن أوصاف القرآن، ويبقى علينا أمر في غاية الأهمية، وهو مقصدنا من هذا النقاش: أن من أول وأهم المهمات التربوية هي: أن نسعى لأن نكون على يقين من هذا الكتاب العظيم كما وصفه رب العالمين فيكون في نفوسنا نورًا وبرهانًا وبصائرًا وبيانًا، وروحًا، ورحمة، نتيقن أنه حبل الله الممدود، ونبذل جهودنا في السعي إلى أن نجعل كل وصف من هذه الأوصاف دليل وبرهان في أفئدتنا. نلتقي على خير حال مع جملة قرآنية أخرى تكون مهمة من مهماتنا التربوية، والحمد لله رب العالمين.